مقدمة

السلفية والسلفيون والتعريف بهما

الحمد لله رب العالمين، الذى هدانا للإسلام، وأكرمنا بالإيمان، وبصرنا فى الدين، وشرفنا باليقين.

والصلاة والسلام على السيد الأكمل سيدنا ومولانا محمد.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وآله.. شجرة النبوة، وموضع الرسالة، أما بعد:

منذ سنوات قليلة كان الشارع السياسى فى مصر يتألف من أحزاب وقوى سياسية وفصيل دينى واحد – أو هكذا يبدون – وهم الإخوان المسلمون، غير أنه وفجأة وعلى غير توقع للإنسان العادى ظهر على السطح فئة السلفيين وأصبحت لهم فضائيات تعد بالعشرات وظهر فيها من ظهر من شيوخ السلفية حتى أصبحوا فى ظهورهم هذا ينافسون نجوم السينما فى كثرة ظهورهم على الشاشة الفضية.

وإذا تأمل المرء أحاديث هؤلاء الناس سوف يجد أنهم يوهمون من يشاهدهم أو يستمع إليهم أنهم (الفرقة الناجية)، والتى ذكرها عبد القادر البغدادى فى كتابه الشهير (الفرْق بين الفرق). وأغلب الظن أنهم يتوهمون أنهم تلك الفرقة.

ولأن المصطلح قد لا يبدو مفهومًا تمام الفهم لدى العموم من الناس ربما لأنه من المصطلحات الوافدة والجديدة. لذا فإننا

سوف نعتمد فى فهم كلٍّ من (السلفية) و(السلفيين) على الكاتب الإسلامى الدكتور محمد عمارة، حتى يتبين القارئ العادى طبيعة مصطلح (السلفية) ومن هم (السلفيون) نقلاً عن (موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة) التى أصدرتها وزارة الأوقاف سنة ٢٠٠١ من ص٣٠٢ – ٣٠٦.

السلفية

لغة: نسبة إلى السلف، والسلف هو الماضى، والسالف: المتقدم (لسان العرب).

وفى القرآن الكريم: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رِّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

واصطلاحًا: هى الرجوع فى الأحكام الشرعية إلى منابع الاسلام الأولى، أى: الكتاب والسنة، مع إهدار ما سواهما.

ومع وضوح هذا التعريف للسلفية، تعددت فصائل تيارها فى تراثنا وفكرنا الإسلامى، فكل السلفيين يعودون فى فهم الدين إلى الكتاب والسنة، لكن منهم فصيلاً يقف فى الفهم عند ظواهر النصوص، ومنهم من يُعْمِلُ العقل فى الفهم، ومن الذين يُعملون العقل: مسرف فى التأويل، أو متوسط، أو مقتصد.

ومن السلفيين: أهل جمود وتقليد، ومنهم أهل التجديد، الذين يعودون إلى المنابع لاستلهامها فى الاجتهاد لواقعهم الجديد.

ومِنَ السلفيين مَنْ سلفُهم – ماضيهم – فكر عصر الازدهار

الحضارى والخلق والإبداع ، ومنهم مَنْ سلفُهم – ماضيهم – فكر عصر التراجع الحضارى والتقليد والجمود.

ومن السلفيين مقلدون لكل التراث، دونما تمييز بين الفكر وبين التجارب، ودونما تمييز فى الفكر بين الثوابت وبين المتغيرات، ومنهم مستلهمون لثوابت التراث، مع الاسترشاد بتجارب ومتغيرات التاريخ.

ومن السلفيين من يعيشون فى الماضى، ومنهم من يوازن بين السلف الماضى وبين الحاضر والمعاصر.

وهذا التنوع الذى يقترب أحيانًا من درجة التناقض، فى مناهج فصائل السلفية، هو الذى أحاط مضامين هذا المصطلح، وخاصة فى فكرنا المعاصر بكثير من الغموض، وسوء الفهم، بل وسوء الظن أيضًا.

ومن أشهر المدارس الفكرية التى حاولت الاستئثار، فى تراثنا، بمصطلح السلفية هى مدرسة أهل الحديث التى هالها الوافد اليونانى – فلسفة ومنطقًا – وأفزعتها عقلانية اليونان المنفلتة من النقل الدينى، فاعتصمت بالنصوص، مقدمة ظواهرها، بل وحتى ضعيفها على الرأى والقياس والتأويل وغيرها من ثمرات النظر العقلى، وهى المدرسة التى انعقدت زعامتها للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١هـ / ٧٨٠ – ٨٥٥م) حتى ليحسبها البعض كل السلفية، بينما هى فى الحقيقة

واحدة من فصائل هذا الاتجاه.

وفى منهاج هذه المدرسة يعلو النص على غيره ، بل ويكاد أن ينفرد بالحجية، فالنص، وفتوى الصحابة، والمختار من فتوى الصحابة عند اختلافهم، والحديث المرسل والضعيف، ثم القياس للضرورة هى الأصول الخمسة التى حددها الإمام أحمد بن حنبل أركانًا لمنهج هذه المدرسة رافضًا بذلك الرأى، والقياس، والتأويل، والذوق، والعقل، والسببية فى الفكر الدينى.

وعن هذا المنهج النصوصى (للسلفية النصوصية) – كما صاغه الإمام أحمد بن حنبل – يقول واحد من أعلامها هو الإمام ابن القيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١هـ / ١٢٩٢ – ١٣٥٠م):

الأصل الأول: النصوص فإذا وجد النص أفتى به ولم يلتفت إلى ما خالفه ولا من خالفه، كائنًا من كان ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأيًا ولا قياسًا ولا قول صاحب ولا عدم علمه بالمخالف.

الأصل الثانى: ما أفتى به الصحابة فإنه إذا وجد لبعضهم فتوى، لا يُعْرَفُ له مخالف منهم فيها، لم يَعْدُها إلى غيرها ولم يقدم عليها عملاً ولا رأيًا ولا قياسًا.

الأصل الثالث: إذا اختلف الصحابة تخيَّر من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوالهم، فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها، ولم يجزم بقول.

الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف، إذا لم يكن فى الباب شىء يدفعه، وهو الذى رجحه - أى الحديث الضعيف - على القياس.

الأصل الخامس: القياس للضرورة، فإذا لم يكن عنده فى المسألة نص، ولا قول الصحابة، أو واحد منهم، ولا أثر مرسل أو ضعيف، عدل إلى القياس، فاستعمله للضرورة.

وعن المنهاج التجديدي لهذه السلفية العقلانية يعبر الإمام محمد عبده (١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) عندما قال: لقد ارتفع صوتى بالدعوة إلى تحرير العقل من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة، قبل ظهور الخلاف، والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه، وتقل من خلطه وخبطه، لتتم حكمة الله فى حفظ نظام العالم الإنسانى، وأنه على هذا الوجه يعد صديقًا للعلم، باعثًا على البحث فى أسرار الكون، داعيًا إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالبًا بالتعويل عليها فى أدب النفس وإصلاح العمل.

ففى منهاج هذه السلفية العقلانية تآخى النص والعقل، وتزامل العلم والدين، وتآزرت السلفية والتجديد.

أ.د/ محمد عمارة

السلفيون

لغة: هم الذين يحتذون حذو السلف، الذين سلفوا، أى: سبقوا ومضوا.

واصطلاحًا: يدخل فى إطار السلفيين أغلب تيارات الفكر ومذاهبه ومدارسه بدرجات متفاوتة ومعان متمايزة؛ لأن لها ماضيًا ومرجعية ونموذجًا ترجع إليه وتنتسب له وتحتذيه وتستصحب ثوابته ومناهجه، وذلك إذا استثنينا تيار الحداثة بالمعنى الغربى، والتى يقيم أصحابه قطيعة معرفية مع الموروث.

وإذا كان السلف هو الماضى فكلنا سلفيون.

لكنَّ السلفيين أنواع:

– فمن السلفيين من يقلد السلف، وهؤلاء هم أهل الجمود والتقليد.

– ومن السلفيين من يرجع إلى السلف، فيجتهد فى ميراثهم وتراثهم، مميزًا فيه الثوابت عن المتغيرات، والصالح للاستصحاب والاستلهام عن ما تجاوزته الوقائع المتغيرة، والعادات المتبدلة، والأعراف المختلفة، والمصالح المستجدة.

– ومن السلفيين من يستلهم من فقه السلف ما يتطلبه فقه الواقع الجديد.

- ومن السلفيين من يهاجر من واقعه المعيش إلى واقع السلف الذى تجاوزه الزمان، وإلى تجاربهم التى طوتها القرون.
- ومن السلفيين من سلفه عصر الازدهار والإبداع فى تاريخنا الحضارى.
- ومن السلفيين من سلفه عصر الركاكة والتراجع فى مسيرتنا الحضارية.
- ومن السلفيين من سلفه تراثنا وحضارتنا وثقافتنا الوطنية والقومية والإسلامية.
- ومن السلفيين من سلفه تراث الآخر الحضارى ومذاهبه وتياراته الفلسفية والاجتماعية، وبهذا المعنى يمكن إدخال الليبراليين الذين يحتذون حذو الليبرالية الغربية، والماركسيين اللذين يحتذون حذو الماركسية الغربية، وأمثالهم من المتغربين فى عداد السلفيين الذين أصبح الموروث والماضى الغربى سلفاً لهم يحتذونه أحياناً مع قدر من التحوير، وأحياناً بجمود وتقليد.
- ومن السلفيين من سلفه المذاهب والتيارات النصِّيَّة الحرفيَّة فى تراثنا.
- ومن السلفيين من سلفه تيارات العقلانية فى تراثنا، أو النزعات الصوفية فى موروثنا الحضارى.
- ومن السلفيين من سلفه مذهب تراثى بعينه يتعصب له ولا

يتعداه.

- ومن السلفيين من مرجعيته تراث الأمة، علـــى اخـــتلاف مذاهبها، يحتضنها جميعًا، ويعتز بها ، ويتخير منها.

ولكن مع صدق وصلاحية إدخال أغلب تيارات الفكر تحـــت مصطلح السلفيين، إلا أن هذا المصطلح قد ادعاه واشـــتهر بـــه وكاد يحتكره أولئك الذين غلَّبوا النص، وفى أحيان كثيرة ظاهر النص على الرأى والقياس وغيرهما من سبل وآليـــات النظـــر العقلى، فوقفوا عند الرواية أكثر من وقـــوفهم عنـــد الدرايـــة، وحرَّموا الاشتغال بعلم الكلام فضلاً عن الفلسفات الوافدة علـــى حضارة الإسلام، وهؤلاء هم الذين يطلق علـــيهم أحيانًـــا أهـــل الحديث، لاشتغالهم بصناعة المأثور وعلوم الرواية، ورفـــضهم علوم النظر العقلى.

وإمام هذه المدرسة هو أبو عبد الله أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١هـ / ٧٨٠ – ٨٥٥ م) وفيها نجد أبرز الأئمة الذين اشتغلوا بصناعة الرواية وعلومها، من أمثال: ابـــن راهويـــه (٢٣٨هـ / ٨٥٢ م) وإمام علم الجرح والتعـــديل ، وأصـــحاب الـــصحاح والجوامع والمسانيد: البخارى (٢٥٦هـ / ٨٧٠ م) ، وأبـــو داود (٢٧٥هـ / ٨٨٨ م) ، والدارمى (٢٨٠هـ / ٨٩٣ م) ، والطبرانى (٣٦٠هـ / ٩٧١ م)، والبيهقى (٤٥٨هـ / ١٠٦٦ م) إلخ...

ولقد تطورت هذه المدرسة فى مرحلة ابن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨هـ / ١٢٦٣ – ١٣٢٨ م) وابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١هـ / ١٢٩٢ – ١٣٥٠ م) فضمَّت إلى المأثور بعضًا من أدوات النظر العقلى، وإن ظلت الغلبة والأولوية عندها للنصوص والمأثورات.

وعن هذا المنهاج يعبر ابن القيم، فيقول: (إن النصوص محيطة بأحكام الحوادث، ولم يُحِلْنا الله ولا رسوله على رأى ولا قياس، وإن الشريعة لم تحوجنا إلى قياس قطٌّ، وإن فيها غنية عن كل رأى وقياس وسياسة واستحسان، ولكن ذلك مشروط بفهم يؤتيه الله عبده فيها).

فلقد ظل النص وحده هو المرجع عند هؤلاء السلفيين، لكن التطور قد أصاب هذا المنهاج النصى – فى مرحلة ابن تيمية وابن القيم – فحدث إعمال الفهم والعقل فى النصوص، دون الاكتفاء بالوقوف عند ظواهر هذه النصوص.

ولقد كان غلو هؤلاء السلفيين فى الانحياز إلى النص وحده، ثمرة لعوامل كثيرة، منها: مخافة غلو مضاد انحاز أهله – وهم فلاسفة العقلانية اليونانية من المشائيين – إلى عقلانية غير مضبوطة بالنص الدينى، وأيضًا النزعة الصوفية الباطنية الإشراقية، التى انحازت إلى الذوق والحدس ، دونما ضابط من

النص ولا من العقل.

ولأن هذه النزعات جميعها - النصية منها والعقلانية والباطنية - قد شابها قدر، كثير أو قليل، من الغلو، فلقد ظلت عاجزة عن استقطاب جمهور الأمة، وانحاز هذا الجمهور إلى النزعة الوسطية فى السلفية، تلك التى جمعت بين النقل والعقل ووازنت بينهما، وهى الأشعرية التى أسسها إمامها أبو الحسن الأشعرى: على بن إسماعيل (٢٦٠ - ٣٢٤هـ / ٨٧٤ - ٩٣٦م) ففى هذه المدرسة من مدارس السلفيين اجتمع النقل والمأثور مع النظر العقلى والاشتغال بعلم الكلام - الذى حرَّم السلفيون النصيُّون الاشتغال به - مع علم أصول الفقه، الذى يمثل فلسفة العقلانية الإسلامية فى التشريع.

ثم تطورت هذه المدرسة - بعد مرحلة التأسيس - على يد كوكبة من أئمتها، فى مقدمتهم الباقلانى: أبو بكر محمد بن أبى الطيب (٤٥٣هـ / ١٠١٣ م)، وإمام الحرمين الجوينى: أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (٤١٩ - ٤٧٨هـ / ١٠٢٨ - ١٠٨٥ م)، وحجة الإسلام أبو حامد الغزالى (٤٥٠ - ٥٠٥هـ / ١٠٥٨ - ١١١١ م).

وعلى امتداد تاريخ الحضارة الإسلامية، ظلت هذه الصورة وهذه الموازنة ملحوظة فى مدارس ومذاهب السلفيين، فالنزعة

النصية تمثلها فى عصرنا الحديث وواقعنا المعاصر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦هـ / ١٧٠٢ - ١٧٩٢م) المسماة بالوهابية، بينما لا تزال الأشعرية، الممثلـــة للعقلانيـــة، النصِّيَّة، تستقطب جمهور المسلمين.

أ.د/ محمد عمارة